تسليح جيش المرابطين

د. عادل عواد الطائي
(الموصل – العراق)

BIBLID [1133-8571] 21 (2014) 137-172

Resumen: "El armamento del ejército almorávide". El estado almorávide se sustentaba en elementos bélicos y militares. El ejército era la base fundamental de su existencia. Yusuf Ibn Tašufin, el fundador del gran estado almorávide, procuró organizar el ejército almorávide y proveerlo del equipamiento y el armamento necesario, hasta que se convirtió en uno de los ejércitos más poderosso del momento, al sustituir el armamento sencillo propio de los combates de la vida beduina por un tipo de armamento que le permitió superar a sus enemigos en el Magreb, al-Andalus y los reinos cristianos. Este tipo de armamento incluía armas ligeras, pesadas, económicas, personales y defensivas (fortificaciones). El presente estudio detalla algunas de esas armas, incluyendo armamento de tipo químico, que se utilizaba dependiendo del tipo de combate o batalla al que se enfrentaban.

Palabras clave: Historia de al-Andalus, Dinastía Almorávide, Ejército Almorávide.

Abstract: "The armament of the Almoravid army." The Almoravid state was based on war and military elements. In fact, the army was considered a crucial element. Yusuf Ibn Tashufin, the founder of the great Almoravid state, sought to organize the Almoravid army and provide the necessary equipment and weapons so it became one of the most powerful armies of the time, by menas of replacing the simple type of weapons used in Bedouin life style by new types of weapons that allowed them to overcome their enemies in the Maghrib, Al-andalus and the Christian kingdoms. These weapons include light, heavy, economic, personal and defensive weapons (fortifications). This paper provide further details about some of these weapons, including weapons of chemical nautre, which were used in some batles they faced.

Key words: History of al-Andalus, Almoravid Dinasty, Almoravid Army.

ملخص البحث: يقوم نظام دولة المرابطين على أسس حربية وعسكرية، فكان الجيش قوام حياتها الأولى، وقد بذل يوسف بن تاشفين (منشئ الدولة المرابطية الكبرى)، في تنظيم الجيش المرابطي، وفي تزويده بالعتاد والسلاح جهودا رائعة، حتى غدا من أعظم الجيوش، بعد أن بدل اسلحتة وأساليبه القتالية البدوية البسيطة،بما يفوق تسليح وتجهيز أعدائه، من أسلحة بدوية أو مغربية أم أندلسية ونصرانية، واشتملت أسلحتة، الخفيفة،والثقيلة، والاقتصادية، والنفسية والدفاعية (التحصينات)، وانفردوا بالاطاس ودروع اللمط واقواس العقارة، وفضلوا العرادة،وبرعوا في الحرب النفسية، وقهروا تحكيمات اعدائهم بالحصار الاقتصادي، وركنوا إلى الاسلحة الدفاعية (التحصينات) لاغراض الأمن الداخلي وكذلك في مرحلة تدهور قوتهم وتفوق اعدائهم، وانفوا عن استخدام الاسلحة الكيمياوية رغم معرفتهم بها على عكس اعدائهم، واستخدموا هذه الاسلحة بتشكيل (تعاون – مجولقة) واحد بالمعركة وحسب، مدياتها وطبيعة المعركة.

كلمات مفاتيح: تاريخ الأندلس، عصر المرابطين، جيش المرابطين.

يقوم نظام دولة المرابطين على أسس حربية وعسكرية [1]، فكان الجيش هو قوام حياتها الأول، وكان منشيء الدولة المرابطية الكبرى يوسف بن تاشفين جندياً وقائداً من أعظم قواد عصره، وقد بذل هذا البطل الشيخ في تنظيم الجيش المرابطي وفي تزويده بالعتاد والسلاح جهوداً رائعة، حتى غدا من أعظم الجيوش [2]، وإذا كان يوسف بن تاشفين قد عمد إلى إصلاح النظم الحربية، بإدخال نظام التجنيد الشامل لكافة طبقات الشعب على الصورة التي عرضناها،فإنه عمد إلى إصلاح ناحية أخرى، وهي إصلاح تسليح الجيش وطريقة إعداده للقتال، ذلك أن أسلحة الملثمين كانت في الواقع أسلحة بدوية، وكان شأنهم شأن بدو الصحراء، يعتمدون على الإبل اعتماداً كلياً ولا يكثرون من الخيل ويفضلون القتال وهم راجلون[3]،وضح ذلك كله حين أخذت جموعهم تطرق أبواب المغرب،إذ روى المؤرخون أنهم دخلوا المغرب في ثلاثين ألف جمل مسرج [4]، ولكن الابل إذا كانت تصلح للقتال في الصحراء فإنها ليست صالحة للقتال في المناطق الجبلية والهضبية في المغرب الأقصى، كما أنّ فرق الأبالة (الهجانة) لا تستطيع أن تصمد أمام فرق الخيالة الممتازة من الزناتيين والمصامدة،لذا عمد يوسف بن تاشفين إلى الإكثار من الخيل، وكوّن فرقاً من الفرسان، ودرّبهم على هذا اللون من ألوان القتال، ويبدو لنا أن يوسف بن تاشفين استعان بالفرسان الزناتيين على نطاق واسع، وكانت لهم في فنون القتال شهرة واسعة، كما أنه لم يغفل شأن الإبل، بل استفاد منها في نواحي أخرى، فجعلها

(1) أشباخ، الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص 417؛ حسن ابراهيم، تاريخ الاسلام السياسي الديني والثقافي والاجتماعي، ط 1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1970)، ج 4، ص 119.

(2) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 418؛ قائد مجهول، أسس تاريخية حول عملية التطوير القتالي، المجلة العسكرية، العدد الثالث، (بغداد، 1983).

(3) البكري، المغرب، ص 166.

(4) البكري، المغرب، ص 197.

تحدق بمعسكره، حتى إذا احتدم القتال سيقت الإبل إلى الحرب فتدخل الرعب في قلوب الفرنجة، ويجمح لمرآها خيلهم فيقع الارتباك في صفوفهم.

كما أنّ الملثمين لم يألفوا السلاح الثقيل [5]، من لبس الخوذات والدروع والزرد، كما كان يفعل أهل الأندلس في حربهم وقتالهم، إذ اعتادوا على التسلح بأسلحة خفيفة تناسب طبيعتهم البدوية البسيطة، وكانوا يتسلحون بأسلحتهم المحلية مثل درق اللمط والقنا الطوال [6]، ولم يغير يوسف من هذا النظام في التسليح، بل أبقاه على ما هو عليه، إذ استعان بفرق من الرماة التي ذاع صيتها في شدة الفتك وإتقان الرمي [7]، ويبدو لنا أنه استعان بمقاتلة مهرة من المغرب، ولما التحم المرابطون بالفرنجة وجدوهم يعتمدون اعتماداً مطلقاً على التسليح الثقيل فلم يغفل المرابطون هذه الناحية، وبدأوا باستخدام هذه الأسلحة الثقيلة وتجهيزات الحماية (الوقاية) للمقاتل [8]، وأصبح الجيش المرابطي تتمثل فيه جميع الأسلحة المستعملة في عصره سواء كانت أسلحة بدوية أو مغربية أم أندلسية أو نصرانية [9]، ومما يلفت النظر في حروب المرابطين استعمالهم للطبول التي يقرعونها قبل القتال، إرهاباً للعدو وتشجيعاً للمسلمين،ويبدو أنهم قد اقتبسوها من تقاليد السودان في الحرب، ولم يكن معتاداً لدى العرب، وإنما استخدم هؤلاء الدفوف [10]، أما عن كيفية تأمين (توفير) السلاح والتجهيزات بأنواعها ووسائط النقل لجيشهم، ففي البداية اعتمدوا على شراء الأسلحة بالمال الذي جمعوه من الزكاة والعشور على عهد الفقيه عبد الله بن ياسين [11]، وكذلك اعتمدوا على الأسلحة والدواب والأموال التي غنموها من القبائل المناوئة لهم [12] .

ويؤكد الناصري أن عبد الله بن ياسين قد غنم الأسلحة والأموال والإبل البالغ عددها خمسون ألف ناقة في درعة [13]، وقبل جواز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس جوازه الأول

"بعث إلى الأندلس برسم شراء العدة، والآلات الحربية، فاشترى له منها الكثير، وكان ذلك العام عام اقتناء

(5) حسين مؤنس، الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، المجلد الحادي عشر، ج 2، سنة 1949، ص 141.

(6) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 22؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 11.

(7) محمود، قيام دولة المرابطين، ص 313.

(8) ابن الخطيب، الإحاطة، ج 2، ص 381.

(9) نصر الله، دولة المرابطين، ص 171.

(10) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 484؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 150.

(11) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 126.

(12) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 128؛ ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 77.

(13) الاستقصا، ج 2، ص 116.

العدة واتخاذ السلاح" [14]، وعند بناء مدينة مراكش لم ينسَ يوسف بن تاشفين بعد بناء المسجد"، اتخاذ قصبة صغيرة لاختزان ماله وسلاحه"[15].

ولم يستمر يوسف بن تاشفين بشراء السلاح، ويبدو لنا أن عملية الشراء قد فرضت نفسها لكون الدولة في بداية نشأتها لم تكتمل مؤسساتها لفترة محدودة، وبعدها اهتم المرابطون بصناعة الأسلحة، ثم أسسوا مصانع منذ عهد يوسف بن تاشفين لصنع السهام والمطارد والرعادات، وغيرها من آلات الحرب [16]، واتخاذ مخازن السلاح، إذ حرص يوسف بن تاشفين أشد الحرص على تزويد جيشه بما يحتاج إليه من عدة وسلاح،وهكذا يبدو أن المرونة العسكرية للقائد يوسف بن تاشفين وسبق النظر لديه، قد واكبت عملية التوسع للدولة وجيوشها الزاحفة نحو الشمال سواء في المغرب أو الأندلس، وطوّرت تسليح الجيش تبعاً لذلك كماً ونوعاً بما يضمن التفوق على الأعداء وإحراز النصر.

وعليه يلاحظ أن تسليح جيش المرابطين قد تنوع وأصبح يضم الأنواع التالية:

أولاً . الأسلحة الخفيفة (الفردية):

وهي التي تستخدم من قبل شخص واحد في الصفحة التعرضية أو الدفاعية، وهي تعد أسلحة أساسية في المعركة، ويحمل المقاتل بعضها في كل الأوقات سواء في الحرب أو السلم، مثل السيف ويحمل بعضها في حالة الحرب مثل الرمح [17]، وتنضوي تحت هذه التسمية الأسلحة التالية:

1 . السيف:

يعدُ السيف أشهر الأسلحة وأقدمها عند المرابطين، وهو أشرف أسلحتهم وأفضلها عندهم حتى امتلأت بذكره [18] أشعارهم وأخبارهم، وأطلقوا عليه اسماءً وأوصافاً عدة، مما يدل على اعتزازهم بهذا السلاح الذي يعدونه عنوان البطولة والفروسية، والسيف من أسلحة الاشتباك القريب وهو سلاح المعركة الرئيسي والسيف يصنع من الحديد، ويفضل الحديد الصلب أو الفولاذ في صناعته، لكونه من أقوى السيوف وقد اشتهرت السيوف في ذلك العصر تبعاً لمنشئها أو الحديد الذي جلب من ذلك البلد، ومن أشهرها السيوف اليمانية، والسيوف الهندية التي استعملها المرابطون بكثرة [19]، ويفضل أن يستخدم السيف في طعن الخصم

(14) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 37.

(15) الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 24.

(16) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 18؛ ابن الخطيب الاحاطة، ج 1، ص 283.

(17) يوسف خلف عبد الله، الجيش السلاح في العهد الآشوري الحديث، جامعة بغداد، (بغداد، 1977)، ص 178.

(18) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 27؛ حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، ص 179؛ الهرقي، دولة المرابطين، ص 261.

(19) محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة (القاهرة، 1974 م)، ص 105 - 106.

وليس للقطع[20]، لأنّ الطعن ينفذ في جسم الخصم مما يؤدي إلى قتله، بعكس القطع الذي يكون على الدروع فتحمي الخصم من الضربة القاتلة للسيف، وتعتمد قوة ضربة السيف على قوة ساعد المقاتل، ويشير صاحب "الحلل" إلى هذا الأمر وجد فيها (معركة الزلاقة) أقوام من الروم عليهم دروع محصنة قطعت السيوف أوساطها مع الجثث"[21]، الأمر الذي يدل على قوة سواعد جند المرابطين وتدريبهم الراقي باستخدام السيف، ويتكلم الطرطوسي عن السيف بإسهاب فيتحدث عن مواضعه ومعادنه وأماكنه وكيفية صناعته والمواد الكيمياوية التي تزيد في صلابته، ويذكر "منه ما يكون بالمغرب والأندلس وبلاد الروم ويوجد منه بالهند والصين ما هو مختار معدوم والذي يوجد بالمغرب وجزيرة الأندلس بجاية وأشبيلية وما والاها"[22].

2 . الرمح (القنا):

وهو السلاح الذي يستخدم للطعن، ويعتبر مع السيف من أسلحة الاشتباك القريب، ويتسلح به الفرسان والرجالة ويسمى بالقناة [23] أيضاً، ويتألف من عود يتراوح طوله بين 4 . 7 أذرع في رأسه حربة معدنية، ويصنع من خشب الزان أو الشوحط، وأحسن الرماح ما كان متيناً ومرناً لضمان عدم انكساره، ويتألف من ثلاثة أجزاء هي المتن والسنان والزج، والمتن هو جسم الرمح الخشبي، والسنا يؤلف القسم العلوي من الرمح، وهو رأس حديد مدبب يركب على المتن، أما الزج فهو حديدة مستديرة ومدببة الطرف قليلاً، تركب في الطرف الثاني من الرمح وتساعد على تثبيته في الأرض، والطعن عند الحاجة [24]، " بنو الأصفر ومن جانسهم من الروم يعتدون (يصنعون) رماحاً من الخشب الزان والشوح وما شاكله ويسمونها النظاريات ليست بالطويلة ويطعنون بها.. ومن جنس الرماح المزاريق يزرق بها، والفرنجيات مثلها، والضواري.. والصبربرات وطولها خمسة أذرع.. وكل هذه الأسنة.. قتلت أو جرحت لا غير " [25]، ويجري تدريب الجنود على كيفية قذف الرماح القصيرة بتسديد وقوة ملائمتين، الأمر الذي يتطلب القيام بتدريبات بدنية تقوي ذراع الجندي [26]، تمكنه من قذف الرماح القصيرة بقوة ومهارة تخترق الدرع من غير صعوبة، وتعد السلاح الرئيسي للمشاة المهاجمين، ويحمل كل جندي اثنين أو ثلاثة من هذه الرماح في المعركة، ويلاحظون عندما

(20) صن تزو وآخرين، جذور السوق، ترجمة: كنعان خورشيد عبد الوهاب، التكريتي، ط 1، المطابع العسكرية، (بغداد، 1987)، ص 77؛ للمزيد من الاطلاع، ينظر: المقريزي، الخطط، خزانة السلاح، ج 1، ص 417 - 418.

(21) مؤلف مجهول، ص 62.

(22) مرضي بن علي بن مرضي الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحرب الأسواء ونشر أعلام الاعلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق: كلود كاهين، (بيروت، 1948)، ص 4.

(23) البكري، المغرب، ص 196؛ بطرس البستاني، دائرة المعارف، بيروت، ج 9، ص 697.

(24) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 11.

(25) الطرطوسي، تبصرة ارباب الألباب، ص 11.

(26) صن تزو وآخرون، جذور السوق، ص 77.

يقاتلون بالرماح تكون القدم اليسرى للأمام على العكس عندما يكونون قريبين من العدو تكون القدم اليمنى إلى الأمام، لكي يكون الجسم أقل بروزاً كهدف أمام العدو، وتكون اليد اليمنى أكثر ملاءمة لتوجيه الضربة [27] . وعرف المرابطون الرماح الطوال ويسمونها (القنا الطوال) والرماح القصيرة ويسمونها (مزاريق الزان) [28]، والتي تقذف باليد، وكان تصميم المعركة يقوم على أساس تعبية هذه الرماح (الطويلة والقصيرة) عند أخذ تشكيل المعركة، فكان المرابطون يضعون الرجال المسلحين بالقنا الطوال (الرماح) في الأمام ومن خلفهم الرجال المسلحون بمزاريق الزان ورماة النشاب، فإذا اقترب العدو تصدى له الصف الأمامي وهم جاثمون على الأرض، فيصدونهم وبنفس الوقت تطلق عليهم رشقات نارية كثيفة من الصف الثاني من مزاريق الزان والسهام الناشرة فتصدهم [29] . وكانت هذه الرماح القصيرة المقذوفة من الكثافة المهلكة للعدو، وكانت هذه الرميات منسقة ومسيطر عليها من قبل رجل بيده راية وتنطلق حسب الاشارة المتفق عليها حسب حركة الراية [30]، ويصفها يوسف بن تاشفين بقوله: " وأظلتهم سحائب الرماح " في الرسالة بعث بها لزف بشرى النصر في الزلاقة إلى مراكش [31]، وكان الجندي المسلح بمزاريق الزان يبدو ذا تدريب جيد باستخدامها ولياقة بدنية جيدة، لكونه يحمل عدة مزاريق فلا يكاد يخطيء هدفه لدقة تصويبه [32]، ويبدو أن رمية الرمح للجندي المرابطي كانت بقوة وسرعة عاليتين، إذ أنّ أحدهم أطلق رمحه باتجاه قومس الروم حتى خرج من ظهره رغم الدروع التي يرتديها [33]، وعرف المرابطون نوعاً من الرماح يطلقون عليها المطارد وهي رماح قصيرة يضرب بها ولا تقذف [34] .

ومن الجدير بالذكر أنه يتراءى لنا أن هناك أثناء حصار مراكش في عهد علي بن يوسف كان ضمن المحاصرين رجل من الأندلس يعرف عبد الله بن همشك، الذي اقترح على علي بن يوسف أن يخرج لمقاتلة الموحدين مع ثلاثمائة فارس يختارهم،وبعد تردد وافق على خروجه، فخرج ولما رأى قتال (الموحدين) طلب من أصحابه أن يقصروا رماحهم، وأن يردوها من ستة أذرع،وبرز لهم أول النهار، فما أن انتصف النهار حتى أدخل البلد منهم ثلاثمائة رأس، فتشجع الناس وخرجوا لمقاتلة الموحدين وهزموهم ولم ينجُ منهم إلاّ القليل

(27) صن تزو وآخرون، جذور السوق، ص 81.

(28) الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 47؛ حسن ابراهيم وعلي حسن ابراهيم، النظم الاسلامية، ط 3، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1963)، ص 196.

(29) الطرطوشي، سراج الملوك، ص 145.

(30) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 11.

(31) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 151.

(32) البكري، المغرب، ص 196؛ عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 417.

(33) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 91.

(34) محمود شيت خطاب، قادة النبي ﷺ، ط 2، الدار الشامية، (بيروت، 1999)، ص 602؛ الهرفي، دولة المرابطين، ص 261.

[35]، وهذا يدلل على أنه ذا معرفة بخواص السلاح ومعالجة نقاط الضعف فيه واستخدامه بوضعية تؤثر على العدو من أسباب النصر، والخلل في الرماح الطوال، يبدو أنه كان بسبب وجود فسحة قريبة تقدر بعدة أمتار، إذ استطاع الخصم الروغان من ضربة الرمح ودخل بسرعة في المسافة الآمنة وصعوبة معالجته بالرمح الطويل استطاع الالتحام مع صاحب الرمح وقتله، وهذا الأمر شخّصهُ ابن همشك بتقصير الرماح، وبالتالي منع الخصم من الالتحام بجنده وتمكنهم من قتله قبل أن يصل إليهم.

3 . القوس:

وهو من الأسلحة القديمة التي استخدمت طوال قرون عديدة، وهو السلاح الوحيد للرمي إلى مسافات بعيدة، ويصفه أحدهم بقوله: " تمر سماءها بنبل الوبال " [36]، وقد استعملتها الأمم والجماعات من القدم في حالة الحرب والسلم، فقد استعملوها لصيد الحيوانات والطيور، فضلاً عن استعمالها في رمي العدو، وهي السلاح الرئيس لصنف الرماة (النشابة) وكان يتسلح به الخيالة أيضاً [37]، وأبسط أشكال القوس عبارة عن أعواد ليّنة متينة تتخذ من أشجار النبع أو السنديان، وتقوّس على شكل هلال، ويثبت فيها وتر قوي بإحكام، وكان الوتر يتخذ من جلد البعير أحياناً وترمى به السهام، يجذب الوتر إلى الخلف باتجاه الرامي، وبوتيرة يترك السهم لينطلق إلى الجهات المعينة [38]، وكان المحارب يحمل معه مجموعة من السهام يرميها حين الحاجة يودعها في كيس يضعها على كتفه، يسمى الجعبة أو (الكنانة) كانت تصنع من الجلد أو الخشب [39]، وشهدت صناعة القوس تطورات عديدة سواء من المواد التي تصنع منها أو عدد السهام التي تنطلق منها في كل رمية وتبعاً لذلك تعددت أسماؤها مثل قسي الزيار وقسي الجروخ وقوس الرجل وقوس الحسبان والقوس المتعدد الاتجاه وقوس قاذفة النفط، وكل واحد منها يختلف من ناحية المواد

(35) ابن صاحب الصلاة، المن بالأمامة، ص 86؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 115 . 116. وتسمى هذه المعركة بوقعة البحيرة. للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، (القاهرة، 1932 م)، ج 12، ص 195؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 215؛ البيذق، أخبار المهدي، ص 78 . 79؛ حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 4، ص 129.

(36) النويري، نهاية الأرب في فن الأدب، ج 1 و 2، ص 403.

(37) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 139؛ خالد جاسم الجنابي، تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الأموي، العراق، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، سلسلة دراسات رقم (366)، ص146.

(38) أبو عمر بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، شرح وتصحيح: أحمد أمين وآخرون، ط 3، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1965م)، ج 1، ص 186 . 187؛ الطرسوسي، تبصرة الألباب، ص 7.

(39) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 6 . 7؛ محسن محمد حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ط 1، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1986)، ص 279؛ محمود بن الشريف، أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة، 1965م)، ص 25 . 40.

الداخلة في صناعته وعدد السهام التي يطلقها في كل رمية ونوع السهام المنطلقة من ناحية الكثافة منها ما يطلق سهما واحدا، ومنها ما يُطلق حزمة من السهام (كأنها الجراد المنتشر)، ومنها ما يطلق السهام الحارقة، ومنها ما يطلق عدة سهام في اتجاهات مختلفة بسيطرة رامٍ واحد [40]، ويجب على الرامي بالقوس أن يمسك القوس بثبات، إذ يتعين عليه شد وتره بقوة، وإبقاء اليد اليسرى ثابتة، وسحب اليمنى بمهارة، وتوجيه الانتباه والعين نحو الهدف، ثم التسديد بدقة سواء كان راجلاً أو على حصان [41]، والمرابطون الذين اهتموا بجميع الأسلحة المعروفة في عصرهم من نشاب وسهام[42]، أنشأوا فرقاً من الرماة والأغزاز والسهام والنشاب [43]، وكان القوس يتخذ مع مزاريق الزان في تشكيل المعركة لتكثيف النيران على العدو المهاجم [44]، وقد امتاز المرابطون بنوع خاص من الأقواس لم تعرف إلاّ في الأندلس والمغرب وتسمى بالقسي العفارة، وهذه الأقواس كبيرة الحجم، وتستخدم من قبل عدة جنود يكونون بوضع الجثو، وتمتاز بمداها البعيد، وتوفر منها لدى ابن هود عند استعادة مدينة بربشتر الآلاف منها [45]، ومن المعروف أن قيمة السلاح تزيد بزيادة مداه سواء في العصور الماضية أو حالياً.

4 . الأطاس (الخنجر المعقوف):

ومن أسلحة الاشتباك القريب التي استخدمها المرابطون وانفردوا بها هي الأطاس وهو خنجر معقوف (ينظر الشكل رقم 1)، لم يكن معروفاً لدى نصارى الأندلس قبل معركة الزلاقة، فيذكر صاحب الحلل الموشية " لقي ادفنش غلام أسود بيده خنجر يدعوه البرابرة بالأفطس، قطع جزر درعي، وطعنه في فخذه، فكان ادفنش يقول بعد ذلك، التحق بي غلام أسود فضربني بمنجل أراق دمي، فتخيل له الأفطس أنه منجل لكونه رآه معوجاً ففر أمامه، وسيوف المسلمين تتبعه " [46]،ويذكر ابن الخطيب أن الأمير يوسف أمر العبيد فترجلوا ودخلوا المعركة والتصق منهم بالأدفنش عبد قبض عنانه وضربه بخنجر في خده وهتك درعه، وشك خده، وهذا الخنجر يدعوه البربر بالطاس، أو الأطاس وظنهُ الادفنش أنه منجل[47] .

5 . المخالي (المقلاع):

(40) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 6 . 10.
(41) صن تزو وآخرون، جذور السوق، ص 76.
(42) الصلابي، دولتي المرابطين والموحدين، ص 200.
(43) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 139؛ نصر الله، دولة المرابطين، ص 169.
(44) البكري، المغرب، ص 196.
(45) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 76.
(46) مؤلف مجهول، ص 61.
(47) أعمال الأعلام . القسم الثالث، ص 241 . 244؛ طارق سويدان، الأندلس التاريخ المصور، ط 3، شركة الابداع، (الكويت، 2009)، ص 284.

لقد عرف في زمن المرابطين المقلاع (المخالي)، فيذكر صاحب الحلل الموشية في تشكيل المربع الدفاعي للموحدين، أنه يتكون من عدة صفوف على شكل مربع كل صف مسلح بنوع من السلاح، وفي الصف الثالث "ومن ورائهم أصحاب المخالي فيها الحجارة" [48]، وقذف الأمير أبو حفص عمر بن الحاج اللمتوني صاحب أشبيلية أثناء الاشتباك مع نصارى الأندلس بحجر ألهبت فرسه بالجري فسقط وداسته الخيل واستشهد [49].

ويطلق على رامي المقلاع العيار، والمقلاع أو العيار قطعة قماش أو جلد قليلة العرض مطوية تمسك من طرفيها ويوضع الحجر أو الحصاة أو قطع الحديد، أو الرصاص في الطرف المطوي، وبعد تدويرها عدة مرات، يفلت أحد الطرفين، فيقذف ما فيه نحو الهدف، واستخدم العيارون هذا السلاح، وكان بعضهم يجيد الرمي بهذا السلاح [50]، وفكرة العيار أو المقلاع واحدة، إلاّ أن الأول له طرفان، بينما الثاني (المقلاع) فله ثلاثة أطراف [51].

وكثر استخدام المقلاع عند القتال في المناطق الحجرية، وللدفاع عن جبل أو هضبة، أو لصد هجوم العدو على قلعة أو مدينة [52]، والذي يبدو لنا أن المرابطين قد عرفوا هذا السلاح، لكن المصادر لم تشر صراحةً إلى إستخدامه من قبلهم، بل تشير إلى استخدام خصومهم له ضدهم، وقد يُعزى السبب إلى إهمال المؤرخين لذكر استخدامهم لهذا السلاح لكونه قليل الأهمية بالنسبة للأسلحة الأخرى، فهذا السلاح أكثر ما يسببه هو الكدمات للخصم في بعض الأحيان، ويكون تأثيره قليلا إذا كان يرتدي الخصم الدرع الواقي.

6 . النبوت والعمود والدبوس:

وهي من الأسلحة التي كانت شائعة في زمن المرابطين، والنبوت عصا غليظة رفيعة وثقيلة من الطرف الآخر،وقد يجعلون في رأسها المسامير الحادة لتصبح أكثر تأثيراً، وهي أكثر استعمالاً لدى الفرسان [53]، أما العمود فهو يشبه النبوت، إلاّ أنه يصنع من الحديد وحده، أما الدبوس فيكون في رأسه الحديد ونصابه من

(48) مؤلف مجهول، ص 132؛ أشباخ، الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص 484.

(49) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 82؛ البستاني، دائرة المعارف، ج 5، ص 701.

(50) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 132؛ علي بن أبي بكر الهروي، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق: مطيع المرابط، مطبعة وزارة الثقافة، (دمشق، 1972)، ص 82؛ نعمان ثابت، الجندية في الدولة العباسية، مطبعة بغداد جديد حسن باشا، (بغداد، 1939)، ص 2160؛ دائرة معارف البستاني، ج 9، ص 701؛ نظير حسان سعداوي، جيش مصر في أيام صلاح اللدين، ط 2، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1959)، ص 20.

(51) الجنابي، تنظيمات الجيش في العصر العباسي، ص 23.

(52) صن ترو وآخرون، جذور السوق، ص 78.

(53) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 15؛ حسن، الجيش الأيوبي على عهد صلاح الدين، ص 276.

الخشب [54]، وهذه الأسلحة تتشابه في وظيفتها وتختلف بمواد صنعها، إذ تستخدم لتهشيم رأس العدو حتى ولو كان لابساً الخوذة المعدنية، وكان الفرسان يحملونها تحت السروج، وكانت تستخدم بعد التضارب بالسيوف والرماح كمحاولة أخيرة لدحره، وعليه فهي تبدو من أسلحة الاشتباك القريب في مرحلة القتال الأخيرة، وقد أفاض الطرسوسي بأنواعها وطرق صنعها وتزيينها، فضلاً عمّا يزيد في تأثيرها القاتل [55]. ويذكر صاحب الحلل الموشية أنّ آخر الأمراء الموحدين كان يلقب بأبي دبوس، لأنه كان في بلاد الأندلس، لا يفارقه الدبوس فاشتهر به [56].

7 . الحربة (المدية):

ومن الأسلحة الشائعة في عهد المرابطين هي الحربة وهي تستخدم في الاشتباك القريب وبعد ظهور الرماح القصيرة قلّت أهميتها وبقيت كسلاح شخصي وقد استخدم الموحدون الحراب الطويلة في حروبهم مع المرابطين [57]، فالمرابطون يبدو لنا أنهم قد استخدموا مزاريق الزان التي عوضت عن استخدام الحربة القصيرة وكذلك استخدامهم للأطاس أيضاً.

ثانياً . الأسلحة الثقيلة (الجماعية):

وهي الأسلحة التي يتولى استخدامها بالمعركة عدد من الجنود، يتناسب عددهم طردياً مع حجم السلاح، وقد يصل عددهم إلى أكثر من مائة جندي إذا كان هذا السلاح كبير الحجم، بعكس الأسلحة الفردية التي يجري استخدامها من قبل جندي واحد وهو حاملها، ولها تأثير فعّال في المعركة لما تسببه من تخريب وتهديم وحرائق في حصون العدو، وهي تستخدم في الهجوم لفتح حصون العدو بشكل رئيسي، وأكثر ما تستخدم في الدفاع عندما تفرض ظروف المعركة الالتجاء إلى الحصون والدفاع عنها [58]، وتزود الجيش المرابطي بالأسلحة الثقيلة التالية:

1 . المنجنيق:

لقد عرف المرابطون هذا السلاح في وقت متأخر نسبياً، وهو من الأسلحة التي اقتبسوها من ملوك

(54) الطرسوسي، تبصرة الألباب، ص 15 و189؛ ثابت، الجندية في الدولة العباسية، ص 189.

(55) الطرسوسي، تبصرة الألباب، ص 15 . 16.

(56) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 260 . 261؛ أشباخ، الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص 288.

(57) مؤلف مجهول؛ الحلل الموشية، ص 168؛ البكري، المغرب، ص 169؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام . القسم الثالث، ص 241 . 244؛ البستاني، دائرة المعارف، ج 5، ص 702.

(58) الهرثمي صاحب المأمون، مختصر سياسة الحروب، تحقيق: عبد الرؤوف عون ومحمد مصطفى زيادة، المؤسسة المصرية العامة، مطبعة مصر، القاهرة، ص 58 . 61؛ الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 76؛ الهروي، التذكرة الهروية والحيل الحربية، ص 84؛ النويري، نهاية الأرب في فن الأدب، ج 1 و 2، ص 403.

الطوائف والأمويين والروم، ومنها المنجنيقات [59]، والمنجنيق هو السلاح الرئيسي والأشد نكايةً في تدمير أسوار حصون الأعداء (ينظر الشكلين رقم 2 و 3)، وإحداث التهدم والفتحات التي ينفذ منها المقاتلون إلى داخل الحصن المعادي، وكذلك إحداث الحرائق والتدمير، وتكسر الأبواب، وهدم القلاع والحصون المعادية [60]،والمنجنيق عبارة عن قاعدة من الخشب السميك، يرتكز عليها عمود خشبي سميك في رأسه كفة لوضع المقذوفات، ويشد هذا العمود بأقواس متينة أو لولب، فإذا أريد الرمي به سحب العمود إلى الأسفل بواسطة اللولب أو الأقواس، ثم يفلت فجأةً، ويصطدم بعارضة خشبية قوية أمامه فيرمي ما بداخل الكفة إلى مسافات بعيدة [61]، وقد أدخلت تحسينات وتطويرات إلى تحسين الرمي به سواء بالمدى أو ثقل المقذوفة، وتختلف المنجنيقات باختلاف أحجامها، فمنها الكبير أو الصغير، أو من حيث صنعها، فمنها العربي والأفرنجي والتركي أو (الفارسي) [62]، وتختلف مقذوفاتها، فمنها ما يرمي السهام والنبال، أو الحجارة لهدم الحصون، أو رمي قدور النفط، أو الكرات المشتعلة وقنابل النحاس، أو قنابل الزجاج، أو القنابل المضيئة، أو قنابل خانقة، أو قنابل المنشار [63] . وهناك شروط على رماة المنجنيق التقيد بها لزيادة مدى الرمية [64].

ومن اللافت للنظر أنّ الطرسوسي يذكر " أن للرماية أسرار يجب أن تحرز وتحفظ، ومعانٍ يتعين على الطالب معرفتها أن يحوط بها لتكون له معينة على بلوغ الغرض " [65]، فهم عرفوا أن يتحكموا في تحديد المسافة إلى حد بعيد، ووضعوا القوانين لتحديد الزاوية، وتعيين الهدف بدقة [66]،ويبدو لنا أنها تشبه ما يسمى معلومات الرمية في صنف المدفعية اليوم، والمرابطون سلّحوا جيشهم بالمنجنيقات، وأكثروا من الصغيرة منها والتي تسمى العرادات، وقاموا بصناعتها، إذ يذكر ابن عذاري المراكشي " وأكثروا من عمل العردات " [67]، ويبدو أن

(59) ابن الخطيب، أعمال الأعلام . القسم الثالث، ص 118؛ حركات، النظام السياسي والحربي على عهد المرابطين، ص 179؛ سوادي عبد محمد الرويشدي، أمارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، ط 1، مطبعة الإرشاد، (بغداد، 1971)، ص 115 . 116.

(60) الحسن بن عبد الله العباسي، آثار الأول وترتيب الدول، المطبعة الميمنية، (القاهرة، 1305 هـ) ص 216؛ ثابت، الجندية في الدولة العباسية، ص 191.

(61) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 16 . 18؛ الجنابي، تنظيمات الجيش في العصر الأموي، ص 148؛ خطاب، الشورى العسكرية النبوية، ص 73.

(62) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، 16 . 17.

(63) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون،(القاهرة، 1978)، ج 3، ص 13 . 16؛ ثابت الجندية في الدولة العباسية، ص 146 . 150.

(64) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 16؛ حسن، الجيش الأيوبي على عهد صلاح الدين، ص 304.

(65) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 16.

(66) حسن، الجيش الأيوبي على عهد صلاح الدين، ص 303؛ صلاح حسين، المنجنيق سلاح عربي، مجلة آفاق عربية، العدد (5)، سنة 1979 م.

(67) البيان المغرب، ج 4، ص 142؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 68.

المرابطين لم يكونوا يجيدون استخدام هذا السلاح بكفاءة، الأمر الذي دفع يوسف أشباخ إلى القول: " بالرغم من أنهم يعرفون آلات الحصار وطرق رميها، لم يكونوا على براعة كافيه بفنون الحصار، لاعتمادهم على سلاح الفرسان، على أنهم يجيدون الامتناع بالحصون ويحسنون الدفاع عن الأماكن المعنية " [68].

وقد ينطبق هذا الأمر في بدايتهم، ولكن بعد الفشل في اقتحام حصن ليبط، يبدو أنهم تجاوزا هذا الخلل في تسليحهم، ويتضح ذلك من خلال استخدامهم للمجانيق والعرادات في حصار حصن ليبط [69]، وطوّروا أسلوبهم، ويؤكد ذلك محاصرتهم لمدينة شنترين واستيلائهم عليها [70]، وتمكن الأمير تاشفين بن علي من فتح بعض حصون طليطلة، وفتح ثلاثين حصناً في غرب الأندلس [71].

ومن جانب آخر استخدم نصارى الأندلس المنجنيقات ضدهم، إذ يذكر ابن أبي زرع أن الفونسو الأول استخدم عشرين منجنيقاً لاحتلال سرقسطة [72]، وهكذا يلاحظ أن المرابطين قد طوّروا أسلوب فن الحصار للقلاع والمدن واتقنوه، كما أتقنوا فن الدفاع داخل المدن وكيفية كسر الحصار، كما يتضح من خلال حصار الموحدين لهم في مراكش لمدة تقارب أربعين يوماً، وتمكنهم من فك الحصار المضروب عليهم والخروج إلى ملاقاة الموحدين وإيقاع هزيمة منكرة بهم [73]، في واقعة البحيرة [74].

2 . العرادة:

هي نوع من المنجنيقات، إلاّ أنها أصغر حجماً [75]، مما يؤدي إلى أن تكون مديات رمياتها أقصر، وأن تكون مقذوفاتها أخف من المنجنيقات الكبيرة، وتستعمل لهدم الأسوار والحصون أو ضرب المعسكرات أو الجند المهاجمين، وتشير المصادر التاريخية أن العرادات كانت من الأسلحة المفضلة لدى المرابطين، وأنهم استخدموها بكفاءة عالية في حروبهم، واستخدمت في ضرب حصن ليبط بكثرة [76]، وفي فتح حصون النصارى في الأندلس [77]، وأنهم كانوا يقومون بصناعتها [78]، ويبدو لنا أن سبب إكثار المرابطين من

(68) تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ص 481.

(69) مذكرات الأمير عبيد الله (آخر ملوك بني زيري بغرناطة)، التبيان . تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، (القاهرة، 1955)، ص 108 . 109.

(70) الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 65 . 66؛ محمود، قيام دولة المرابطين، ص 391.

(71) الناصري، الاستقصا، ص 68.

(72) الأنيس المطرب، ص 163.

(73) أبو بكر الصنهاجي (البيذق) أخبار المهدي بن تومرت، ص 78 . 79.

(74) مؤلف، مجهول، الحلل الموشية، ص 166.

(75) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1977)، ص 53؛ الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 16؛ الهروي، التذكر الهروية في الحيل الحربية، ص 84.

(76) عبد الله بن بلكين، التبيان، ص 108 . 112.

(77) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 68.

استخدامها كان للكلفة الاقتصادية الواطئة لصناعتها، والمرونة العالية عند نقلها في ساحة المعركة (ويبدو لنا أنها تشبه مدفعية الميدان أو الهاونات (**المورتر** المتوسطة والثقيلة) وتأثيرها الفعّال، وعقيدتهم العسكرية المتسمة بالحركة والخفة بالمعدات العسكرية، لذا أكثروا منها في تجهيز جيوشهم أثناء الحروب [79].

3 . الدبابة وملحقاتها:

هي آلة هجومية جماعية متحركة، تصنع من الخشب السميك الجيد، أو ما شاكله[80]، وتغلف باللبود أو الجلود المنقعة في الخل لمنع احتراقها، وتركب على عجلات مستديرة يسهل دفعها، وحين الوصول إلى هدفها قرب الأسوار المعادية، كان المقاتلون يصعدون عليها أو بداخلها، وبيدهم آلات تهشيم السور وهدمه، وكذلك كانوا يستعملون الدبابة في تسلق السور، أي أنهم جعلوها بمثابة برج وسلم، ويرتقون أعلى السور، وبيدهم النبال والرمح، ويرمون بها جنود العدو داخل الحصن أو المدن المحاصرة [81]، ويمشي أمامها عدة جنود لحمايتها وتسهيل حركتها، فهي أذن عبارة عن قلعة سائرة على العجلات يهجمون بها على الأسوار المعادية، والجنود بداخلها محتمين بسقوفها وجدارها من سهام العدو [82]، ويبدو أنّ المرابطين لم يهتموا بها الاهتمام الكافي كالعرادات، وقد يعزى السبب لكونها معرضة لنيران العدو عند قربها من الأسوار المعادية، وبطء حركتها وصعوبة نقلها إلى جبهة أخرى، وأنّ وعورة الأرض، وبالأخص في الأندلس جعل من الصعوبة استخدامها، ومع ذلك يشير أمير غرناطة عبد الله بن بلكين في مذكراته، أنه أثناء حصار حصن ليبط، قام ابن صمادح بعمل حربي جديد، فصنع فيلاً، واقترب به من أسوار الحصن، فرماه النصارى بسهم ناري فاحرقه[83].

ويبدو لنا أن هذه الدبابات تقوم ما تقوم به العجلات المدرعة، والتي تحمي الجنود من نار الأسلحة الخفيفة والرشاشات المتوسطة وشظايا قنابل المدفعية والهاونات وتوصلهم إلى الهدف.

أما رأس الكبش فأصله دبابة، لكن على رأسه مثل رأس الكبش (ينظر الشكل رقم 4)، ويتصل هذا الرأس في داخل الدبابة بعمود غليظ معلق بحبال تجري على بكرة معلقة بسقف الدبابة لتسهيل جرّها، ويتعاون الجنود الذين يتحصنون في داخل الدبابة، وجنود آخرون استقروا بدروع الدبابة، ووقفوا خلفها، يتعاون كل هؤلاء على ضرب السور بها، حتى يخرقوه، ودق الباب حتى تكسره [84]. ولم تذكر لنا المصادر

(78) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 142.
(79) حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، ص 179.
(80) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 19؛ زيدان، التمدن الاسلامي، ج 1، ص 176 . 179.
(81) الهروي، التذكرة الهروية في الحيل الحربية، ص 82؛ حسين، الجيش الأيوبي على عهد صلاح الدين، ص 309.
(82) الدينوري، عيون الأخبار، ص 53 . 54؛ نعمان، الجندية في الدولة العباسية، ص 193.
(83) التبيان، ص 108.
(84) الهرثمي، مختصر سياسة الحروب، ص58 . 59؛ نعمان، الجندية في الدولة العباسية، ص 194؛ البستاني، دارة المعارف، ج

التي تناولناها استخدام رأس الكبش سواء من المسلمين أو النصارى في الأندلس، وعلى الرغم من استخدامها بكثرة في المشرق أثناء الحروب الصليبية [85]، وقد عرفت الدبابة بأسماء أخرى منها (الدراجة)، وكذلك عرفت باسم البرج الذي يوصف بأنه جهاز متحرك من الخشب ومغطى بالحديد والجلد، وكان يستعمل للاقتراب من الحصون المعادية أو المدن المحصنة، لاقتحامها ولقذف السهام والأحجار أو أية مقذوفات أخرى، وكان يجر على عجلات خشبية أو حديدية [86]. وينقل لنا ابن أبي زرع، عن كيفية قيام الفونسو الأول باحتلال سرقسطة " وضعوا أبراجاً من خشب تجري على بكرات، وقربوها منها، ونصبوا فيها العرادات، ونصبوا عليها عشرين منجنيقاً " [87].

أما من جانب المرابطين فتذكر المصادر الحصون النصرانية التي فتحوها في الأندلس، ومنها فتح الأمير تاشفين بن علي أكثر من ثلاثين حصناً للنصارى في الأندلس [88]، وتذكر استخدام العرادات والمنجنيقات خلال ذلك، ولكنها تهمل ذكر الأبراج أو السلالم [89]، ويبدو لنا لابد وأنها قد استخدمت،ولكن لسبب أو لآخر اهمل ذكرها واكتفى مؤرخو تلك الحقبة بذكر الفتح دون تدوين تلك التفاصيل الصغيرة بنظرهم آنذاك، كون الاقتباس والتأثير وتطوير الأسلحة كان عملية مستمرة دائمة لدى المرابطين، ويقومون باستمرار بتطوير تجهيزاتهم العسكرية، كما عرضنا لذلك سابقاً.

ثالثاً . تجهيزات الحماية (الوقاية) العسكرية:

وهي التجهيزات التي يستخدمها المقاتلون للحماية من تعرضهم للإصابة بأسلحة العدو كضربات السيوف أو طعنات الرماح أو السهام [90]، وهذه التجهيزات يرتديها الجندي في الهجوم أو الدفاع، والمرابطون لم يألفوا تجهيزات الوقاية الثقيلة [91]، وكانوا في الواقع قد اعتادوا على التسلح بأسلحة وتجهيزات وقاية خفيفة

9، ص 705.

(85) بهاد الدين المعروف بـ (أبن شداد)، سيرة صلاح الدين الأيوبي، ط 1، دار المنار، (القاهرة، 2000)، ص 103؛ حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص 313.

(86) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 18 . 19؛ حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص 360

(87) الأنيس المطرب، ص 163.

(88) الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 68.

(89) من ملحقات الدبابة السلالم التي كانت تساعد المهاجمين على اعتلاء الأسوار، وفتح مغاليق الحصون، وقد كانت تصنع أول الأمر من الحبال التي تنتهي بخطافات يسهل تعلقها بحجارة السور، ثم صارت تصنع من الخشب أو الحديد، كما كانت تزود في بعض الأحيان بعجلات أو بكرات ليسهل نقلها من مكان إلى آخر. ينظر: حسين، الجيش الأيوبي على عهد صلاح الدين، ص 314.

(90) الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 47؛ البستاني، دائرة المعارف، ج 9، ص 707.

(91) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 22؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام . القسم الثالث، ص 243 . 244؛ مؤنس، الثغر الأعلى، ص 141.

تناسب طبيعتهم البدوية البسيطة [92]، ولما التحم المرابطون بنصارى الأندلس، وجدوهم يعتمدون اعتماداً مطلقاً على الأسلحة والتجهيزات الثقيلة، بدأوا يسلحون فرقهم بهذه التجهيزات والأسلحة الثقيلة [93]، ويبدو أنهم لم يتخذوا الدروع الثقيلة التي يرتديها الفارس النصراني والتي تغطي كامل بدنه، وفي بعض الأحيان قد يغطي أجزاء من بدن حصانه [94]، واكتفى (المرابطون) بما هو ضروري لرد ضربات سيوف الأعداء بأيديهم وحماية الرأس، وفي بعض الأحيان حماية الصدر، وهذا أدى إلى اتسام حركتهم بالخفة والسرعة ما فسح المجال لهم للأداء والقيام بالمناورة في ساحة المعركة بسهولة، على عكس أعدائهم الذين كانت تثقلهم الدروع وتبطئ حركتهم لتنفيذ المناورة المطلوبة. وتشمل تجهيزات الوقاية لدى المرابطية ما يلي:

1 . الدرق اللمطية:

وهي إحدى تجهيزات الحماية التي انفرد بها المرابطون، وهي أول ما تجهزوا بها، لكونها تصنع في بلادهم في لمطة، ولمطة إحدى قبائل الملثمين [95]، وفي مدينة نول المشهورة [96]، على أنّ الدرق اللمطية تنسب في الواقع إلى حيوان اللمط، الذي كان يعيش في الصحراء، وهو من ذوات الأربع وأصغر قليلاً من البقر، وتحمل الأنثى منه وللذكر قرنان عظيمان، ومن جلد الأنثى تصنع الدرق المذكورة [97]، وهي بذلك لا توجد إلاّ في موطن يوسف بن تاشفين [98]، وكانت لها شهرة خارج المغرب، ولما وصل كتاب أهل الأندلس، يسألونه المهادنة مع الهدايا، أجابهم إلى ذلك وأرفقهم جوابه مع درق لمطية [99]، وكان جواب المعتمد بن عباد إلى الفونسو السادس عندما حاصر أشبيلية وطلب منه أن يرسل له بصيغة الاستهزاء مراوح ليذب الذباب عن وجهه، أجابه المعتمد بتهديد مبطن، أنه سيرسل له الدرق اللمط التي تروّح عنه [100] .

(92) الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 22؛ حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ج 4، ص 363.

(93) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 68؛ محمود دولة المرابطين، ص 383.

(94) ابن الخطيب، أعمال الأعلام . القسم الثالث، ص 243؛ مجموعة مؤلفين، الموسوعة العسكرية، ج 2، ص 324.

(95) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغردي بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط 1، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ط 1، (القاهرة، 1933)، ج 4، ص 82. وهو ينسب الدرق اللمطية إلى قبيلة لمطة، إذ يقول أنهم ينقعون الجلود بالحليب لمدة سنة؛ بينما يذكر البكري أن هذه الدرق تصنع من جلد أنثى حيوان اللمط. ينظر: المغرب، ص 171.

(96) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب . ج 4، ص 113 . 114.

(97) البكري، المغرب، ص 171.

(98) الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 33.

(99) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 113.

(100) الحميري، الروض المعطار، ص 85؛ المقرئ، فتح الطيب، ج 4، ص 354 . 368.

وكان المرابطون يتسلحون بدرق اللمط [101] بشكل رئيسي، وفي معركة الزلاقة الشهيرة أمر يوسف بن تاشفين حرسه الخاص من السودان المجهزين بدرق اللمط الترجل والهجوم على العدو [102]، وتمكن أحدهم من مهاجمة الفونسو السادس وطعنه بفخذه.

2 . الترس:

على الرغم من استخدام المرابطين لدرق اللمط والتي تؤدي وظيفة الترس، إذ يذكر البعض " لكل رجل واحد درق من درق اللمط واسعة، وسيف " [103]، إلاّ أنهم زوّدوا جيشهم بالتروس، وخصوصاً عندما عملوا في الساحة الأندلسية [104]، والترس عبارة عن صحيفة من الحديد أو الخشب أو الجلد، يحملها الفارس أو الراجل، أثناء القتال ليتفادى بها ضربات السيوف أو الرماح أو السهام أو الحجارة [105]، وكان يصنع بأشكال مختلفة منها المسطح والمستطيل المحفر الوسط (المقعر)، إنّ الترس الكبير كان يضايق المحارب الفارس،ويشل ذراعه اليسرى التي تمسك به، إلاّ أنه إذا كان مريحاً أكثر بالنسبة للمشاة [106]، وكان الرومان يبذلون جهوداً شاقة لتعويد جنودهم حمل الترس، فضلاً عن القوس أو الراية، لكي يثبت بالمعركة [107]، وكان الترس المستدير هو الأكثر شيوعاً لدى المسلمين خلال حقبة الحروب الصليبية، وقد تفنن الصنّاع المسلمون في صنع التروس ونقشوا عليها الآيات والحكم والأشعار [108] .

ويذكر الطرسوسي أنّ لكل أمة نوع من التروس تختلف من حيث مواد صناعتها مثل جلود اللمط أو الحديد أو الخشب، وزينوها بالأصباغ الملونة، ولها تبعاً لذلك أسماء نذكر منها الطوارق والجنوبات [109].

3 . الدروع:

زوّد المرابطون جيشهم بالدروع (ينظر الشكل رقم 5)، إذ يذكر صاحب الحلل عن قوات الطرفين في معركة الزلاقة " وخرج معه ثمانون الف مقاتل، لابسين الدروع دون غيرهم... وكان عسكر المسلمين يناهز

(101) البكري، المغرب، ص 166.
(102) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 61؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 484.
(103) تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 4، ص 22؛ المقريزي، دولة المرابطين، ص 261؛ حسين، تاريخ الاسلام السياسي والديني، ج 4، ص 113.
(104) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ج 1، ص 179؛ ابن الخطيب، الأحاطة، ج 1، ص 281.
(105) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 12؛ ابن جماعة الحموي، مستند الأجناد في آلات الجهاد، تحقيق: أسامة ناصر النقشبندي، دار الحرية للطباعة، (بغداد، 1983)، ص 61.
(106) حسين، الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، ص 316.
(107) صن ترو وآخرون، جذور السوق، ص 80.
(108) زيدان، التمدن الاسلامي، ج 1، ص 187.
(109) تبصرة أرباب الألباب، ص 12.

خمسين ألف فارس، أربعة وعشرون ألف من فرسان الأندلسيين ما بين مدرّع ولابس ومثلها أو أكثر منها مرابطون " [110].

يتألف الدرع من صفائح معدنية تدعى (الزرد) أو الجلد، وهو المفضل حتى لا تؤثر صلابته على المقاتل، ويلبس على القسم العلوي من الجسم [111]، على هيئة ثوب قصير من العنق إلى الركبتين أو ما دونهما، وكانوا يلبسون تحت الدرع غلالة من ثوب قد يكون من الكتّان السميك، لحماية الجسم من خشونة حلقات الحديد، وتسمى هذه الدروع بالجوشن، والغرض منه حماية منطقة الصدر للمقاتل من أسلحة العدو الموجهة ضده، وقد ذكر الطرسوسي وظيفة الجواشن والخلطات الكيمياوية التي تدخل في صناعتها والمواد التي تصنع منها [112] ، ويتبع الجواشن نوع آخر يدعى التجنفاف أو الجفايف وهو لباس يرتديه الفارس ويلبسه حصانه للوقاية من النار (ينظر الشكل رقم 6)، والبعض يجعله خاصا بالفرس [113].

والطرسوسي تطرق إلى تحضير المواد التي تطلى بها الملابس الواقية [114]. ويلاحظ في صناعة الدروع خفتها وعدم إعاقة حركة المقاتل [115].

4 . البيضة (الخوذة):

الخوذة وتدعى البيضة أيضاً، وهي ما يلبس في الرأس لحمايته من ضربات السيوف أو السهام أو الحجارة، وتصنع الخوذة أو البيضة من المعدن على شكل قطعة واحدة بقدر حجم الرأس[116]، أو يصنع من الزرد أو حلقات الدرع، ينسج على قدر الرأس، ثم يتدلى قسم منه ليغطي الرقبة وجوانب الوجه، وعادةً ما يكون متصلا بالجوشن، ويدعى بالمغفرة أو الغفارة [117]، وكان بعض المجاهدين ينقشون آيات قرآنية أو أحاديث أو أدعية [118]، ويلبس فوق البيضة أو المغفرة العمامة.

وزوّد المرابطون جيشهم بالخوذ وكافة الأسلحة وتجهيزات الوقاية المعروفة آنذاك، إذ يذكر ابن الخطيب " أن نائب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الأمير سير بن أبي بكر وبأمر منه قوّى الحصون وسد الثغور، وأذكى

(110) مؤلف مجهول، ص 56.
(111) المقريزي، الخطط، ج 1، ص 417 . 418؛ خلف، الجيش والسلاح، ص 238.
(112) تبصرة لألباب، ص 14.
(113) ابن الخطيب، أعمال الأعلام . القسم الثالث، ص 243؛ حسين، الجيش في عهد صلاح الدين الأيوبي، ص 363.
(114) تبصرة أرباب الألباب، ص 14.
(115) مجموعة مؤلفين، الموسوعة العسكرية، ج 2، ص 324.
(116) الحموي، مستند الأجناد في آلات الجهاد، ص 61؛ الجنابي، الجيش في العصر العباسي، ص 57.
(117) الحموي، مستند الأجناد في آلات الجهاد، ص 61؛ حسين، الجيش الأيوبي، ص 318.
(118) مجموعة مؤلفين، الموسوعة العسكرية، ج 2، ص 189.

العيون، واتخذ مخازن السلاح، وعمل التراس، ونسج الأدرع وفصل البيضات والسيوف وربط الخيل " [119].

رابعاً . الأسلحة النفسية والتوجيه المعنوي:

إنّ أسلوب الحرب النفسية كان متبعاً عند المرابطين، والحرب النفسية هي الأعمال التي يقوم بها الخصم ضد الآخر للتأثير عليه، هادفاً من ذلك شل إرادته وتفكيره وقواه المادية والمعنوية [120]،وقد أشار القرآن الكريم إلى إرهاب العدو بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ﴾ [121]، لقد عدّ النبي صلى الله عليه وسلم الحرب النفسية من أهم الحروب التي خطط لها فنفّذها، بل كانت محور عمله العسكري ضد أعدائه، إذ يجعلهم في حالة رعب يسيطر على نفوسهم، وأنهم لا قبل لهم بالوقوف أمام جيشه [122]، وقد عبّر عن هذه الحرب بقوله ((**نُصِرتُ بالرُّعْب**)) [123]، وكان المرابطون متفوقون بأسلوب الحرب النفسية، وتنوعت أساليبهم بهذا المجال حتى أصبحت لهم شهرة بذلك، إذ يذكر بن عذاري المراكشي "وكان لهم بذلك ناموس ورعب في المنتدبين لقتالهم" [124] . ويؤكد الناصري هذا الأمر بقوله:

الفرنج مع ذلك ترهب جانب ملك المغرب يوسف بن تاشفين، إذ كان له اسم كبير وصيت عظيم، لنفاذ أمره، ونقله دولة زناتة، وملك المغرب إليه في أسرع وقت، مع ما ظهر لأبطال الملثمين ومشايخ صنهاجة في المعارك من ضربات السيوف التي تقد الفارس، والطعنات التي تنظم الكلى، فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المنتدبين لقتالهم " [125]، ومن أساليبهم القيام باستعراض الجيش قبل المعركة لإظهار القوة والثقة بالنفس، والقيام بمظاهرات عسكرية دون الدخول بمعركة، كما فعل سير بن أبي بكر عند ضم ممالك الأندلس إلى المرابطين [126]، ونشر الرايات عندما يقتربون من العدو، ويبدو أن لهم راية كبرى [127]، والصلاة جماعة قبل بدء المعركة، وإذاعة أنباء النصر من أعلى المآذن وتلاوة البيانات الخاصة بالحروب من

(119) ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 281؛ مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 121.

(120) مجموعة مؤلفين عسكريين، الموسوعة العسكرية، ج 1، ص 767؛ شارل ساندیسي، علم النفس في القوات المسلحة، ترجمة: محمد ياسر الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1984)، ص 120 . 121.

(121) سورة الأنفال، الآية 60.

(122) محمد ظاهر وتر، فن الحرب الاسلامي في عهد الرسول ρ، دار الفكر، (دمشق، 1985)، ص 92.

(123) صحيح البخاري، الحديث رقم (315)؛ مسند أحمد بن حنبل، رقم الحديث (435).

(124) البيان المغرب، ج 4، ص 112.

(125) الاستقصا، ج 2، ص 15.

(126) ابن بلكين، التيجان، ص 169.

(127) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 150؛ الهرقي، دولة المرابطين، ص 262 . 263؛ عبد الجبار محمود السامرائي، الاستعراضات العسكرية في العراق عبر التاريخ، مجلة آمروا الحضائر، العدد الثاني، (بغداد، آذار 1994).

فوق المنابر في كافة أنحاء الدولة [128]، وأثناء سيرهم إلى ساحة المعركة تتقدمهم البنود البيضاء الباسقات المكتوبة بالآيات [129]، وتسخيرهم المراسلات مع أعدائهم، واستخدام لغة التهديد والوعيد والتلويح بالقوة، ومن ثم دعوتهم إلى الاسلام، أو دفع الجزية، أو الحرب، وكما حصل من مراسلات وتبادل الرسائل بين يوسف بن تاشفين والفونسو السادس قبل معركة الزلاقة [130]، وتفاؤلهم بالرؤيا الصالحة وبشارة النصر فيها واذاعتها على جندهم قبيل المعركة، كما حصل برؤية الناسك أبي العباس ابن رميلة ورؤيته للنبي ﷺ وتبشيره بالنصر واستشهاده في معركة الزلاقة [131].

كما استخدم المرابطون الطبول بكثرة أثناء المعركة، ويذكر صاحب الحلل الموشية " وضرب طبوله واهتزت له الأرض وتجاوبت الآفاق فارتاعت قلوبهم " [132]. ويضيف ابن أبي زرع تأثير الطبول على خيول الأعداء بقوله " وزلزلت حوافر خيولهم رعود الطبول " [133]، وكان لهذه الطبول وقع سيء على نفسية جند الأعداء، كما يقول الأستاذ عنان " وكان الجيش المرابطي يستعمل الطبول، وقد لعبت طبول الزلاقة دوراً في ازعاج الجند النُصارى " [134]، ونستدل من نص أورده ابن أبي زرع، أنّ هذه الطبول تظل مواكبةً للجند المسلمين أثناء الحركة والمناورة بساحة المعركة، مما يحملنا على الاعتقاد أنها كانت تحمل على الدواب، والنص " أمير المسلمين في اثرهم بساقته وطبوله وبنوده " [135]، إلى جانب استخدام الطبول الكبيرة والتي تؤثر على نفسية جند الأعداء وخيولهم استخدم المرابطون الابل والتي لم يقتصر دورها على حمل الأثقال في المعركة، بل استعملوها بدل الخيل لكي يستعينوا بمظهرها الغريب في بث الرعب في نفوس جند النصارى [136]،كما أنها تستخدم كسواتر لجنودهم، وكانت خيول أعدائهم النصارى تجمح لمنظرها [137]، ومن الروائح المنبعثة منها وأصواتها [138]، ولرفع معنويات جندهم وظّفوا إيمانهم بالله وحبهم للشهادة فالفقهاء والعبّاد يحثون الجندي المسلم على الصبر والثبات بالمعركة وعدم الفرار[139]، ومشاركتهم الجند بالجهاد وتشوقهم للجنة [140]،

(128) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 149؛ حسن تاريخ الاسلام السياسي، ص 369.
(129) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 122.
(130) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 53.
(131) ابن الأبار، الحلية السيراء، ص 354.
(132) مؤلف مجهول، ص 60.
(133) الأنيس المطرب، ص 150.
(134) عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 419.
(135) الأنيس المطرب، ص 141.
(136) أشباخ، الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، 479.
(137) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 115.
(138) ايريك موزير، مدخل إلى التاريخ العسكري، تعريب: أكرم ديري والهيثم الأيوبي، ط 1، دار الرشاد للنشر، (بيروت، 1971)، ص 279.
(139) ابن الأبار، الحلية السيراء، ص 354.

واستشهاد بعضهم بالمعركة، ونرى القادة أيضاً يساهمون برفع معنويات جندهم خلال المعركة،، فيوسف بن تاشفين خلال معركة الزلاقة كان على فرسه يمر على صفوف المقاتلين ويُقوي نفوسهم على الجهاد والحرب، ويقول " يا معشر المسلمين اصبروا لجهاد أعدائكم وأعداء الله الكافرين، فمن رزق منكم الشهادة فله الجنة، ومن سلم فقد فاز بالأجر العظيم والغنيمة " [141]، كما كان المرابطون يجمعون رؤوس القتلى من أعدائهم النصارى وعمل تلال منها والأذان عليها، ومن ثم القيام بإرسال عدة آلاف من هذه الرؤوس إلى مدن الأندلس والمغرب لرفع معنويات الشعب [142]، كما وظّفوا الشعر لتمجيد انتصارهم، إذ ظهر ما يُعرف بأدب الزلاقة [143]، غير أنّ أهم الأسلحة النفسية، هي الروح الجديدة التي كان يتمتع بها المجاهدون من المرابطين من الحمية والتحمس للدين، والتسابق إلى الاستشهاد [144]، وكان قد ترك يوسف بن تاشفين غنائم معركة الزلاقة لأهل الأندلس، أثر كبير في نفسية الأندلسيين والوثوق به [145]، وكان المسلمون يزودون جنودهم بشحنات إيمانية خلال القتال، وذلك بترديدهم شعار (**يا محمد**) صلى الله عليه وسلم مما يزيد من حماستهم بالحرب (على عادة المسلمين في حروب الجهاد)، وكان نصارى الأندلس يرددون شعار (يا ستتياجو)، وكانوا يتصايحون ويولولون ليضعفوا قلوب المسلمين [146]، وستتياجو هذا هو القديس يعقوب أحد أتباع السيد المسيح عليه السلام[147].

خامساً . الأسلحة الأقتصادية:

إنّ أسلوب الحرب الاقتصادية، هو تدابير تتخذ لانزال الهزيمة بالعدو، وحرمانه من الوسائل المادية للمقاومة، وتخريب اقتصاده، كي لا يستمر بالحرب [148]، وقد عرف المرابطون هذا الأسلوب في الحرب وبرعوا فيه، وبالأخص عند عملهم في الأندلس، ولم يقتصر الأمر عليهم، بل طبّقه أعداؤهم من نصارى الأندلس والمصامدة في المغرب، ويرتكز هذا الأسلوب على حصار المدن والقلاع والحصون ومنع دخول المواد الغذائية إليها حتى يجبرها الجوع والعطش على الاستسلام، أو المرور بالمدن وتخريب الموارد الاقتصادية خارجها

(140) الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 47.
(141) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 148.
(142) الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 49.
(143) محمد مجيد السعيد، الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، ص 81؛ نصر الله، دولة المرابطين، ص 96.
(144) محمود، قيام دولة المرابطين، ص 280.
(145) ابن عذاري المراكشي، الأنيس المطرب، ص 166.
(146) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 401.
(147) أخترع الأسبان وجوده في أقصى شمال غربي أسبانيا لتعزيز مقاومتهم للمسلمين وقامت حول المزار مدينة شنت ياقت، وقد ادعى أكثر من ملك أو قائد برؤيته قبل المعركة أو أثناء مروره على جواده وبيده سيف وهو يقاتل المسلمين. ينظر: السامرائي وآخرون، تاريخ العرب في الأندلس، ص 204.
(148) مجموعة مؤلفين، الموسوعة العسكرية، ج 1، ص 528.

والتي تعتمد عليها في حياتها المعاشية اليومية، وبالأخص الثروة الزراعية، فنرى عند حصار ليبط والعجز عن اقتحامه على الرغم من استخدام كل أنواع الأسلحة المتيسرة واستمرار حصاره عدة أشهر، وعند تداول أمره بين يوسف بن تاشفين والمعتمد بن عباد وتبين لهم " أنه لا يتأتى لهم أخذه إلاّ بالمطاولة وقطع مادة القوت عنهم " [149]، وبعد جمع الفونسو السادس لجيش كبير هجم لإنقاذ الحصن ومن فيه " وجد قوماً جياعاً لا يقدرون على امساك الحصن، فأحرقه، وأخرج من كان فيه من قومه " [150]، وفي حملة يوسف بن تاشفين على طليطلة " فسار حتى نزل طليطلة وحاصرها والفونسو فيها، وهتكها وقطع أثمارها، وأخرب أحوازها " [151]، وكان الفونسو السادس يعمد إلى ضرب الحصار على القلاع والحصون بينما تعمل قواته على إتلاف الزروع وهلاك الضرع، حتى نال الجوع من المحاصرين، فسلّموا للطاغية بلا قيد ولا شرط، وكان أثر هذه السياسة أن سقطت طليطلة، كما استولى على بلنسية بنفس الطريقة [152]، وهكذا سقطت سرقسطة فيما بعد بسبب الحصار والجوع [153].

سادساً . الأسلحة الكيمياوية والبيئية:

على الرغم من معرفة وشيوع هذه الأسلحة بين المسلمين قبل وفي عصر المرابطين، إذ يشرح الطرسوسي عن خلطات كيمياوية وطريقة صنعها، والمواد التي تدخل في صنعها، فمثلاً يذكر " يحرق إحراقاً قوياً لا مثيل له " [154].

ويتحدث عن السهام الحارقة "وترى فيه جمرة لطيفة او تحرق طرفه وترمى به، فإذا خالطه الهوى الهواء) أشعل نار عظيمة فتحرق أي شيء أصابه" [155]، وتكلم عن مواد تحترق تشبه ما يُعرف عندنا اليوم بـ (النابالم)، ويطفو على الماء ويحرق المراكب

" تشتعل فيه ناراً وترسله على الماء إلى ما أردت من المراكب فإنها تحرق احراقاً عظيماً ويمشي على الماء ولا ينطفئ " [156]، وينقل لنا، نعمان ثابت أن هناك قنابل مضيئة، والقنابل الخانقة والتي تستعمل في البحر والبر، فتعمي الأبصار ويتصاعد غباره إلى مناخير الجند وعيونهم فما يستطيعون القتال [157] ، ويتكلم عن

(149) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 69.
(150) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 70.
(151) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 153؛ الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 53.
(152) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 10، ص 57؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2، ص 186.
(153) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 163؛ مؤنس، الثغر الأعلى في عصر المرابطين، ص 47.
(154) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 200.
(155) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 21.
(156) الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب، ص 21.
(157) الجندية في الدولة العباسية، ص 150.

قنابل اليد التي تحوي العقارب والحيات والرماد وتُرمى بالمنجنيق على الأعداء [158]، على الرغم من وجود هذه الأسلحة لم نجد ما يشير إلى استخدام المرابطين لهذه الأسلحة، ويبدو لنا أنهم لم يستخدموها ؛ لأنهم كانوا يطورون أسلحتهم تبعاً لما يتسلح به أعداؤهم سواء بالمغرب أو الأندلس، والذي عثرنا عليه عند من أرّخ للمرابطين، نجد إشارات قليلة إلى استخدام اعدائهم لبعض هذه الأسلحة، فمثلاً قتل الأمير أبو بكر بن عمر بسهم مسموم [159].

ويلاحظ أن الموحدين قد أشعلوا الحصن الذي التجأ إليه الأمير تاشفين بن علي في وهران [160]، ونجد أن النصارى قد استخدموا السهام الحارقة كما رأينا في حرقهم لدبابة ابن صمادح عند حصار حصن ليبط [161]، واستخدم الموحدون الماء بعد حجزه بسدود صناعية وإطلاقه لتدمير أسوار مدينة فاس [162].

سابعاً . الأسلحة الدفاعية (التحصينات):

تشمل التحصينات الحصون أو القلاع والأسوار والخنادق وهي بمثابة أسلحة دفاعية ثابتة تزيد في الحماية للمدافع عند هجوم الأعداء أو لإسكان الحاميات لمراقبة الأعداء عند تقربهم [163]، ونرى أن المرابطين في بداية عهدهم لم يهتموا بأسوار للمدن، وقد يكون ذلك عائدا إلى طبيعتهم البدوية غير المعتادة على الأسوار، فإن يوسف بن تاشفين هدم الأسوار بين عدوتي القرويين والأندلس [164] بفاس، وقال " إنما أسوارنا سيوفنا وعدلنا " [165]، أما الحصون فقد اهتموا ببنائها منذ وقت مبكر، فبعد فتح مدينة تلمسان عاصمة زناتة في المغرب الأوسط، بنى مدينة، بمثابة حصن أمامي لحماية المرابطين في عاصمة زناتة، وسميت المدينة باسم تافرت [166]، ولتثبيت سيادتهم في المغرب الأقصى، وإخضاع القبائل المغلوبة، فأكثروا من القلاع وأقاموا صفاً من الحصون حول جبال الأطلس لإخضاع المصامدة والسيطرة عليهم، وكانت هذه

(158) ثابت، الجندية في الدولة العباسية، ص 149؛ ناطق داؤد عبد الله، الحرب البايولوجية، المجلة العسكرية، العدد الرابع، (بغداد، 1979).

(159) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 135.

(160) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 133.

(161) ابن بلكين، التبيان، ص 109.

(162) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 136؛ باسل شفيق علي، الحرب البيئية، مجلة مختارات سوقية، المطابع العسكرية، العدد الخامس، (بغداد، 1987).

(163) عماد الدين خليل، في التاريخ الاسلامي مواقف ودراسات، ط 2، مطبعة الزهراء، (الموصل، 1985)، ص 39؛ طاهر مظفر العميد، تحصينات الثغور العربية البرية المواجهة للبيزنطيين، مجلة الدفاع، العدد الثالث، (بغداد، 1978).

(164) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 141؛ الناصري، الاستقصا، ج 2، ص 29.

(165) حركات، النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، ص 181.

(166) الناصري، الاستقصا، ج 1، ص 110.

القلاع سميكة الجدران وذات ارتفاع تتخللها أبراج، على هيئة نصف دائرة، وتحيط بها الخنادق الواسعة [167].

وبعد ظهور دولة الموحدين وبمشورة من القاضي أبي الوليد بن رشد شرع علي بن يوسف بإنشاء سور حول مدينة مراكش[168]، واستخدم صنّاعاً من الأندلس لبنائه [169]، كذلك شرع في بناء أسوار حول مدن الأندلس مثل المرية الذي أشرف على بناء سورها رجل يدعى ابن العجمي، وكذلك سور حول مدينة قرطبة وأشبيلية، وتكفل أهل كل مدينة بإقامة سور حول مدينتهم [170]، ويظن البعض أن ظهور هذه الرغبة لديهم، قد يكون مرده إلى اهتمام المرابطين بالحصون بعد احتكاكهم بملوك الطوائف في الأندلس، ولكن قد تبين لنا أنهم قبل ذهابهم إلى الأندلس شرعوا بإقامة الحصون لتأمين الأمن الداخلي لدولتهم من القبائل المغلوبة، وبالأخص المصامدة وزناتة، كما أنهم عند إنشاء مدينة مراكش بنوا فيها قصر الحجر وهو حصن حصين [171]، ونرى أنهم زيادةً في حماية حصونهم ومدنهم قد أقاموا حولها خنادق يصعب عبورها لمن أراد اقتحام مدنهم، فنرى عند هزيمة المرابطين أمام الموحدين خارج مراكش، وهروبهم للاحتماء، تدافع الناس على الأبواب، وسقط الكثير منهم بالخندق حول المدينة بحيث طلع الناس على الناس حتى امتلأ الخندق منهم [172] . وقد أوصى الشاعر ابن الصيرفي في قصيدة طويلة في فن الحرب، قدمها إلى تاشفين بن علي باتخاذ الخنادق:

فخندق عليك إذا ضربت محلة سيان تتبع ظاهراً أو تتبع [173]

(167) محمود، قيام دولة المرابطين، ص 453.
(168) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 73.
(169) مؤلف مجهول، مفاخر البربر، ص 53.
(170) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 74.
(171) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 116.
(172) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، ج 4، ص 83.
(173) مؤلف مجهول، الحلل الموشية، ص 124 . 126.

شكل رقم (1)

الأَطاس

شكل رقم (2)

المنجنيق

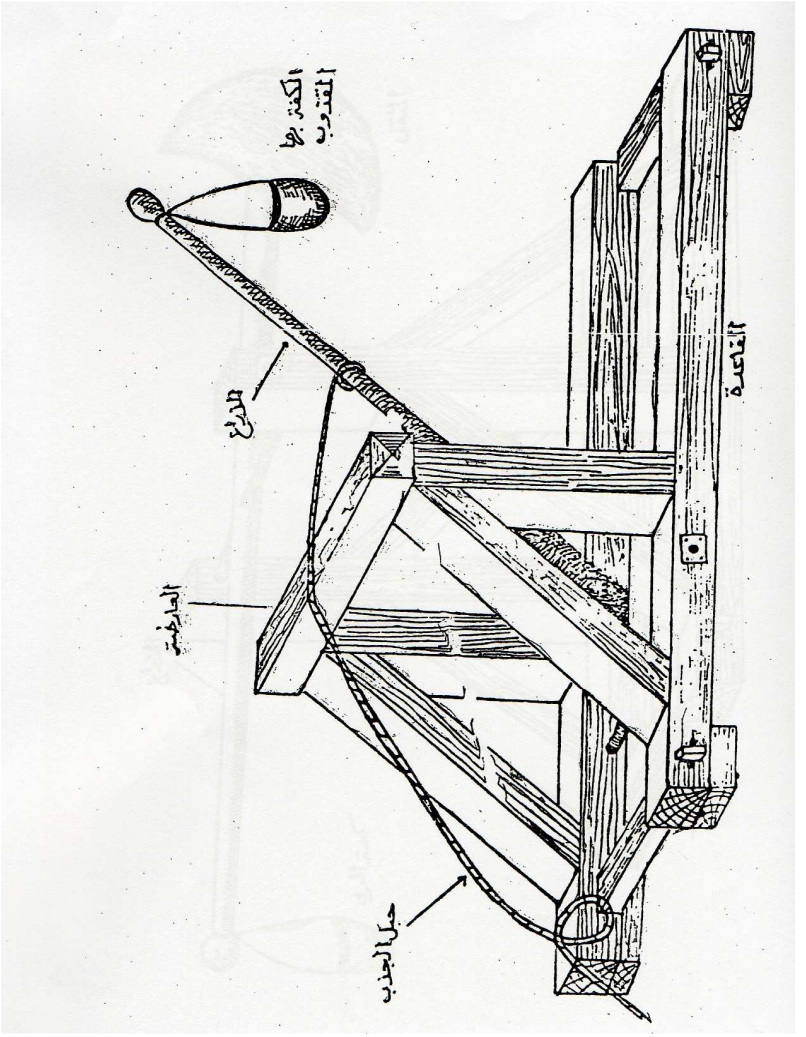

شكل رقم (3)

المنجنيق

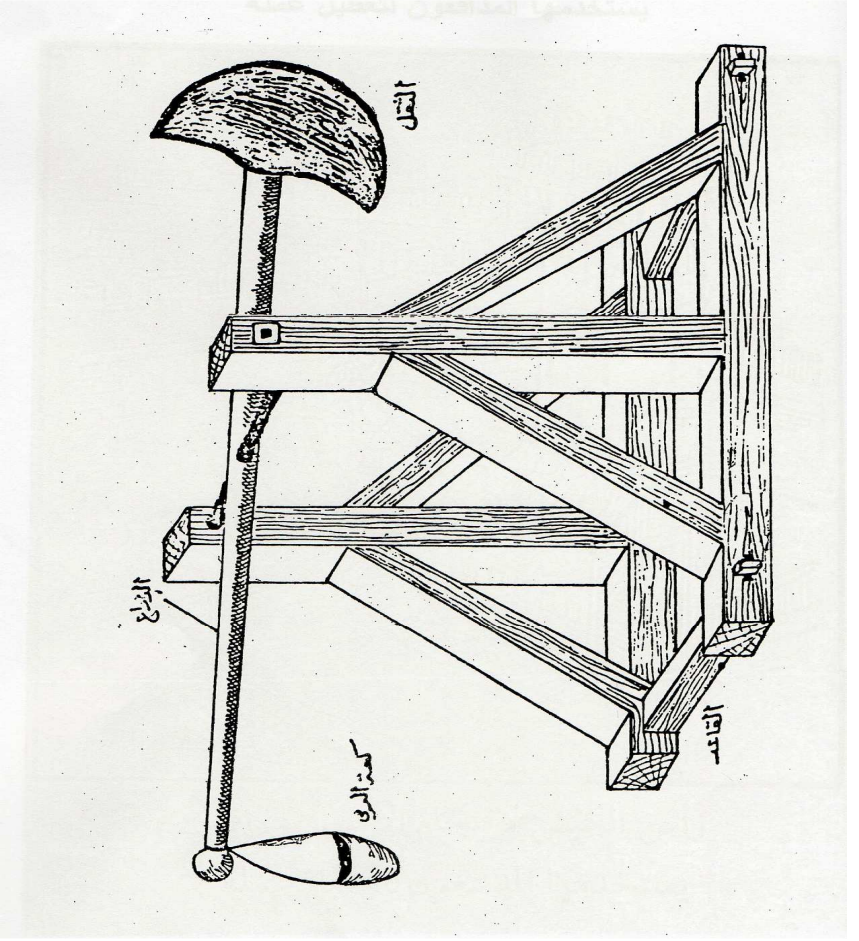

شكل رقم (4)

رأس الكبش لاقتحام الأسوار ورافعة

يستخدمها المدافعون لتعطيل عمله

شكل رقم (5)

الدرع

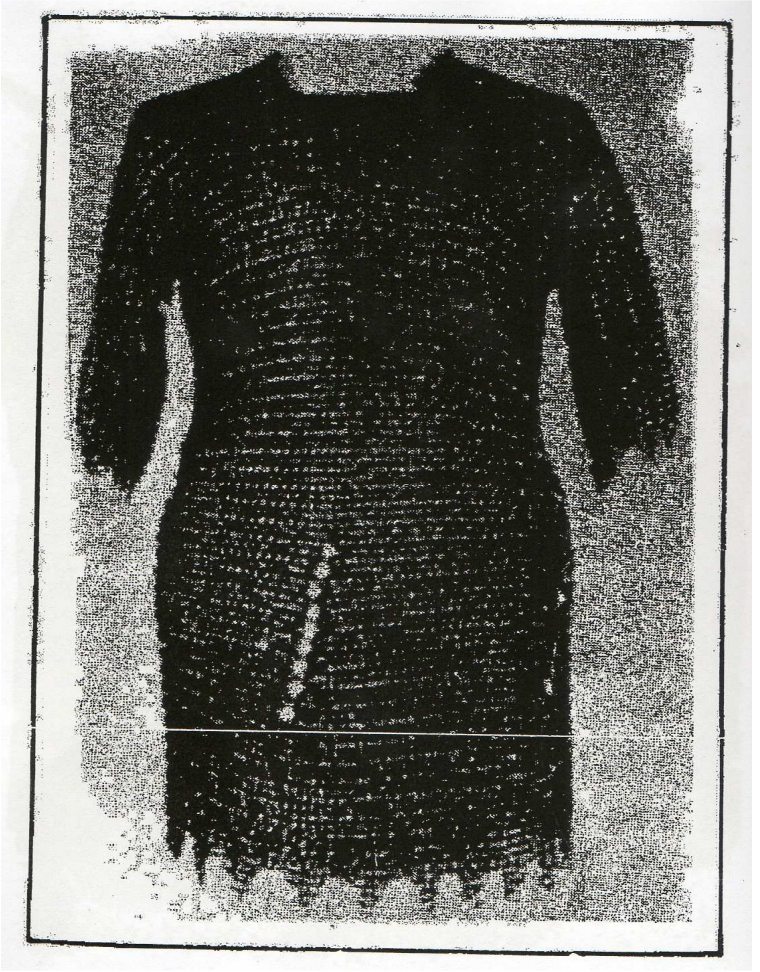

شكل رقم (6)

فارس مدرع، ويظهر تدريع الحصان

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الفهرس الموضوعي لآيات القرآن الكريم، عني بجمعه وترتيبه: محمد مصطفى محمد، مطبعة وزارة الأوقاف، (بغداد، 1983) .

أولاً . المصادر الأولية:

ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم (ابن الأثير) الجزري (ت 628 هـ / 1230 م)

1- الكامل في التاريخ، ط 1، دار إحياء التراث العربي، (بيروت، 1989).

ابن الآبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ابن الآبار) (ت 658 هـ / 1258 م)

2- الحلة السيراء، قدّم له: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، (بيروت، 1962 م).

الأصفهاني: عماد الدين الكاتب (الأصفهاني) (ت 597 هـ / 1200 م)

3- الفتح القسي في الفتح القدسي، تعليق: ابراهيم شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، (بيروت، 2002 م).

البخاري: الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة (البخاري) (ت 256 هـ / 869 م)

4- صحيح البخاري، ضبط النص: محمود محمد محمود نصار، ط 3، دار الكتب الحديثة، (بيروت، 2002 م).

البكري: أبو عبد الله بن عبد العزيز (البكري) (ت 487 هـ / 1094 م)

5- المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب (وهو جزء من كتاب المسالك والممالك)، مكتبة المثنى، (بغداد، بلا).

ابن بلقين: الأمير عبد الله (ابن بلقين) آخر ملوك بني زيري بغرناطة (ت 483 هـ / 1090 م)

6- التبيان، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر،(القاهرة، 1955 م).

البيذق: أبو بكر الصنهاجي المكنى بـ (البيذق) (ت 524 هـ / 1129 م)

7- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، تحقيق: لافي بروفنسال، (باريس، 1928 م) .

تزو: صن (تزو) (عاش قبل 500 ق. م)

8- جذور السوق، ترجمة: العميد الركن خورشيد عبد الوهاب التكريتي، ط 1، المطابع العسكرية، (بغداد، 1987 م) .

ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ابن تغري بردي) (ت 874 هـ / 1469 م)

9- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط 1، دار الكتب بالقاهرة، (القاهرة، 1933 م)، ج 4.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (الجاحظ) (ت 255 هـ / 868 م)
10- البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، (القاهرة، 1948 م)، ج 2.
الحموي: بدر الدين محمد بن ابراهيم بن جماعة الكناني (الحموي) (ت 733 هـ./ 1333 م)
11- مستند الأجناد في آلات الجهاد، تحقيق: أسامة ناصر النقشبندي، دار الحرية، (بغداد، 1983 م).
الحميري: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (الحميري) (ت 710 هـ / 1310 م)
12- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، 1975 م) .
13- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأخبار، تعليق: لافي بروفنسال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1927 م) .
حنبل: الإمام أحمد بن (حنبل) (ت 241 هـ / 855 م)
14- مسند أحمد بن حنبل، المطبعة الميمنية، (القاهرة، 1313 هـ)
أبن الخطيب: لسان الدين أبو عبد الله (ابن الخطيب) (ت 776 هـ / 1374 م)
15- الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي، (القاهرة، 1973 م)، ج 1 و ج 2 و ج 3 و ج 4 .
16. أعمال الأعلام، تحقيق: أحمد مختار العبادي، دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1964 م) ق 3 .
ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد (ت 681 هـ / 1282 م)
17- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مطبعة المعارف، (القاهرة، 1299 هـ)، ج 2 .
ابن أبي زرع: علي (ابن أبي زرع) (كان حياً قبل 726 هـ / 1325 م)
18- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، (الرباط، 1973 م).
ابن شداد: أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع الأسدي المعروف بـ (ابن شداد) (ت 632 هـ / 1234 م).
19- سيرة صلاح الدين الأيوبي، ط 1، دار المنار، (القاهرة، 2000 م) .
ابن صاحب الصلاة: عبد الملك (بن صاحب الصلاة) (ت 578 هـ / 1182 م)
20- تاريخ المنّ بالأمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تقديم: عبد الهادي التازي، دار الأندلس، (بيروت، 1964 م) .
الطرسوسي: مرضي بن علي بن مرضي (الطرسوسي) (ت 589 هـ / 1193 م)
21- تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب الأسواء ونشر أعلام الأعلام في العدد المعنية على لقاء الأعداء، تحقيق: كلود كاهين، (بيروت، 1948 م) .
الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد (الطرطوشي) المالكي (ت 520 هـ / 1126 م)
22- سراج الملوك، المطبعة الخيرية، (القاهرة، 1306 هـ) .
ابن عبد الله: العلامة الحسن (ابن عبد الله) العباسي (بدأ بتأليفه 708 هـ / 1308 م)

23- آثار الأول في ترتيب الدول، المطبعة الميمنية، (القاهرة، 1305 هـ)
ابن عبد ربه: أبو عمر أحمد بن محمد (ابن عبد ربه) الأندلسي (ت 327 هـ / 938 م)
24- العقد الفريد، شرح وتصحيح: أحمد أمين، ط 3، مطبعة لجنة التأليف والنشر، (القاهرة، 1965 م)، ج 1.
ابن عذاري: أبو العباس أحمد (ابن عذاري) المراكشي (ت 712 هـ / 1312 م)
25- البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس، تحقيق: د. إحسان عباس، ط 2، دار الثقافة، (بيروت، 1980 م)، ج 4.
26- البيان المغرب في أخبار المعرب والأندلس، تحقيق: كولان وليفي بروفنسال، (ليدن، 1948 م)، ج 1.
ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة الدينوري) (ت 276 هـ / 889 م)
27- عيون الأخبار، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي،(دمشق، 1977 م).
القرماني: أحمد بن يوسف بن أحمد (القرماني) (ت 1019 هـ / 1610 م).
ابن كثير: الحافظ عماد الدين أبو الفداء اسماعيل (ابن كثير) (ت 174 هـ / 1372 م)
28- البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة،(القاهرة، 1932 م)، ج 12 .
المقرئ: أحمد بن (المقرئ) التلسماني (ت 1041 هـ / 1632 م)
29- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، (بيروت، 1968 م)، ج 4.
المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (المقريزي) (ت 845 هـ / 1442 م)
30- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف (بالخطط المقريزية)، مطبعة بولاق، (القاهرة، 1394 هـ) .
مؤلف مجهول: (من أهل القرن الثامن الهجري)
31- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المركشية، تحقيق: د , سهيل زكار وعبد القادر زمانة، ط 1، دار الرشاد الحديثة،(الدار البيضاء، 1979 م) .
الناصري: أبو العباس أحمد بن خالد (الناصري) (ت 1315 هـ / 1890 م)
32- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: ولدي المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، مطبعة دار الكتاب، (الدار البيضاء، 1954 م)، ج 2 .
الهرثمي: أبو سعيد (الهرثمي) الشعراني (صاحب الخليفة المأمون العباسي)
33- مختصر سياسة الحروب، تحقيق: عبد الرؤوف عون، طبعة المؤسسة العامة للتأليف والطباعة والنشر، (القاهرة، بلا).
الهروي: علي بن أبي بكر (الهروي) (ت 611 هـ / 1215 م)

34- التذكرة الهروية في الحيل الحربية، تحقيق: مطيع المرابط، مطبعة وزارة الثقافة، (دمشق، 1972 م).

ثانياً . المراجع الحديثة

أشباخ: يوسف (أشباخ)
1- تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، ط 2، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، (القاهرة، 1958 م).
البستاني: بطرس (البستاني)
2- دائرة المعارف، دار المعرفة، (بيروت، بلا)، ج 6 .
ثابت: نعمان (ثابت)
3- الجندية في الدولة العباسية،مطبعة بغداد جديد حسن باشا، (بغداد، 1939 م) .
الجنابي: د. خالد جاسم (الجنابي)
4- تنظيمات الجيش في العصر العباسي الثاني، ط 1، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، 1989 م) .
حركات: ابراهيم (حركات)
5- النظام السياسي والحربي في عهد المرابطين، نشر مكتبة الوحدة العربية، (الدار البيضاء، بلا) .
حسن: د. حسن ابراهيم (حسن)
6- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ط1، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1967 م)، ج 4.
حسن وابراهيم: د. حسن ابراهيم (حسن) و د. علي حسن ابراهيم
7- النظم الاسلامية، ط 3، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1963م) .
خطاب: اللواء الركن محمود شيت (خطاب)
8- قادة النبي ﷺ، ط 2، الدار الشامية، (بيروت، 1999 م) .
9- الشورى العسكرية النبوية، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (بغداد، 1990 م) .
خليل: د. عماد الدين (خليل)
10- في التاريخ الاسلامي مواقف ودراسات، ط 2، مطبعة الزهراء، (الموصل، 1985 م) .
الرويشدي: سوادي عبد محمد (الرويشدي)
11- امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، الأحوال السياسية والعسكرية، الادارة، الأحوال الثقافية، الاحتلال المغولي، مطبعة الارشاد، (بغداد، 1972) .
زيدان: جرجي (زيدان)
12- تاريخ التمدن الاسلامي، ط 2، مطبعة الهلال، (مصر، 1914 م)، ج 1 .

السامرائي: د. خليل ابراهيم (السامرائي) وآخرون
13- تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، (الموصل، 1986 م) .
ساندیسي: العميد شارل (ساندیسي)
14- علم النفس في القوات المسلحة، ترجمة: المقدم الدكتور محمد ياسر الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (بيروت، 1984 م).
سعداوي: نظير حسان (سعداوي)
15- جيش مصر في أيام صلاح الدين، ط 2، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1959 م) .
سويدان: د. طارق (سويدان)
16- الأندلس التاريخ المصور، ط 3، شركة الابداع، (الكويت، 2009 م) .
ابن الشريف: محمود (ابن الشريف)
17- أسلحتنا العربية قديماً وحديثاً، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة، 1965 م) .
الصلابي: د . علي محمد (الصلابي)
18- دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الأفريقي، ط 2، دار المعرفة، (بيروت، 2005 م) .
عنان: محمد عبد الله (عنان)
19- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، (القسم الأول . عصر المرابطين)، ط 1، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، 1964 م) .
عبد الله: يوسف خلف (عبد الله)
20- الجيش والسلاح في العهد الآشوري الحديث، نشر: جامعة بغداد، (بغداد، 1977 م) .
مجموعة مؤلفين
21- الموسوعة العسكرية، ط 1، المؤسسة العربية للنشر، (بيروت، 1980 م)، ج 1 و ج 2 و ج 3.
محمود: حسن أحمد (محمود)
22- قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1957 م) .
موزير: ايريك (موزير)
23- مداخل إلى التاريخ العسكري، تعريب: أكرم ديري والهيثم الأيوبي، ط 1، دار الرشاد، للنشر، (بيروت، 1970 م) .
مؤنس: د. حسين (مؤنس)
24- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم في الأندلس، ط 1، مكتبة الدراسات التاريخية، (بور سعيد، 2000 م).
نصر الله: د. سعدون عباس (نصر الله)
25- دولة المرابطين في المغرب والأندلس، عهد يوسف بن تاشفين، ط 1، دار النهضة الدينية،

(بيروت، 1985 م).
الهرفي: سلامة محمد سلمان (الهرفي)
26- دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين، دار الندوة، (بيروت، 1985 م).
وتر: العميد الركن د. محمد ظاهر (وتر)
27- فن الحرب الاسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، الادارة العسكرية في حروب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، دار الفكر، (دمشق، 1985 م).

ثالثاً . الرسائل والأطاريح الجامعية

الجنابي: د. خالد جاسم (الجنابي)
1- تنظيمات الجيش العربي الاسلامي في العصر الأموي، العراق، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، 1988 م.
حسين: د. محسن محمد (حسين)
2- الجيش الأيوبي في عهد صلاح الدين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، 1986 م.
السعيد: د. محمد مجيد (السعيد)
3- الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، 1974 م.

رابعاً . الدوريات (المجلات):

حسين: د . صلاح (حسين)
1- المنجنيق سلاح عربي، مجلة آفاق عربية، العدد الخامس،(بغداد، 1975 م) .
السامرائي: العقيد الركن عبد الجبار محمود (السامرائي)
2- الاستعراضات العسكرية في العراق عبر التاريخ، مجلة آمرو الحضائر، العدد الثاني، (بغداد، آذار 1994 م).
شفيق: العميد الركن باسل (شفيق)
3- الحرب البيئية، مجلة مختارات سوقية، المطابع العسكرية، العدد الخامس، (بغداد، 1987 م).
عبد الله: المقدم الركن ناطق داؤد (عبد الله)
4- الحرب البايولوجية، المجلة العسكرية، العدد الرابع، (بغداد، 1979 م) .
العميد: د . طاهر مظفر (العميد)
5- تحصينات الثغور العربية البرية المواجهة للبيزنطيين، مجلة الدفاع، العدد الثالث، (بغداد، 1987 م).

قائد مجهول: (عاش في القرون الوسطى)
6- أسس تاريخية حول عملية التطوير القتالي، المجلة العسكرية، العدد الثالث، (بغداد، 1993 م).
مؤنس: د. حسين (مؤنس)
7- الثغر الأعلى الأندلسي، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، المجلد الثانيعشر، ج 2، سنة 1949 م.